قراءة عابرة في تجربة «باعامر» السردية

■ يقول الناقد الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح (لقد صارت القصة فناً، ولم تعد حكاية أو أحدوثة، وأصبحت أداة إثارة للعقل والشعور، واللاشعور وما تحت الشعور، وهي لا تستطيع أن تكون بلا هدف لأن الفن العظيم هو ذلك الذي يوحي بالهدف العظيم ليصل بالقارئ عبر معاناة فنية يلعب فيها التكثيف والتنويع ومستويات التغيير، وتداخل الأزمات دوراً بالغ الأهمية).

إعداد/
أمين صالح النهمي

ومن خلال كتابات المبدع اليمني العربي الكبير صالح باعامر الروائية نستشف إيمانه بأهمية الفعل الثقافي في سبيل إرساء قواعد للخلق والإبداع والمستقبل.

ومن حسن الحظ أن الكتابات القصصية والروائية التي ظهرت في بلادنا أخيراً قد جاءت منسجمة – إلى حد ما – مع دواعي التغيير الذي يعكس نفسه في تجليات وتداعيات التجربة الإبداعية للروائيين العرب بحسب تعبير الدكتور المقالح.

والحديث عن تجربة باعامر الروائية كما يقول الدكتور عبدالله البار في تقديمه للأعمال الكاملة لـ«باعامر» هو حديث عن انبثاق المنجز من ثنايا الحلم وتصاعد الوجود الأدبي من وهاد التوق وسفوح الاشتهاء، صعوداً إلى مراقي التحقيق وبلوغ الآمال.

ومن يتأمل روايات وقصص باعامر يجد تنوعاً في الفضاء المكاني يتأبى على الإنحصار في بيئة واحدة لا تتنوع، فإذا به يتمدد ويتنقل معه في أرجاء من الأرض الحضرمية والعدنية، ولكل مكان من هذه الأمكنة خصائصه البيئية، وسماته الاجتماعية، وتحولاته الحضارية التي تجد سبيلها إلى نسج العمل السردي التي تغدو جزءاً من كيانه، وصورة من صور الرصد الذي يدنو من التاريخ.

وفي الحقيقة أن روايات وقصص «باعامر» هي نوع من الروايات ذات البعد التجاوزي الحضاري التي تدعو إلى الاقتراب من صورة معاناة إنسان هذا العصر، وتغوص عميقاً في تفاصيل الحياة اليومية بلغة رائعة وجذابة تأسر العقل والروح وتأخذ الوجدان.

يقول سارتر: (إن من شأن الفن أن يقف بصاحبه إلى المعمعة) لأنه مادامت الكتابة صورة من صور إرادة الحرية، فإن كل من أخذ على عاتقه مهمة الشروع في الكتابة سرعان ما يجد نفسه – سواء أراد أو لم يرد – منخرطاً في معركة الحرية، ملتزماً بالدفاع عن حريته وحريات الآخرين.

وتلك طبيعة الكتابة في النص القصصي والروائي السردي عند صالح باعامر حيث جعل من الكتابة السردية إرادة حرة يستثير من خلالها قوى الوعي الداخلي للإنسان المتلقي ليولّد لديه فكرة إحساسه بلذة ونشوة الانتصار للكتابة الحرة، والمتفجعة على كل آفاق العصر وعلى كل جديد وما هو كائن وما سوف يكون.

بيد أن العملية الإبداعية في قصص وروايات باعامر لها حضورها الإبداعي وقوامها للتجديد الشكلي والمضموني للخطاب السردي، كما أنها تمتلك أسلوباً حياً ولغة فوارة للعاطفة والانفعال والأفكار الكبيرة التي تعكس عذابات الإنسان ومعاناته وموقفه من الحياة والناس والقيم الحضارية والسياسية.

والروائي صالح باعامر شديد الذكاء حيث جعل من أحداث قصصه ورواياته هدفاً قيمياً ونبيلاً مما يجعل القصة أو الرواية تحيا داخل وجودها الزمني والمكاني وتستطيل وتكبر داخل المتخيل الإبداعي، كما أن منهجية قصص وروايات باعامر تسير وفق ما يسمى حداثياً بتيار الحساسية الجديدة تجاه الكتابة السردية التي تقوم على كسر الترتيب الخطي للحدث وإلغاء ميكانيكية البناء، وتحطيم سلسلة الزمن من السائر في خط مستقيم بجانب نمو قضاياه هموم الإنسان اليمني، ويتسع عالياً بمدى اتساع رغبتنا في إتاحة مساحة للعقل والتفكير الحر وتنويع مستويات التعبير المختلفة، وبذلك تتضح قدرة القاص والروائي، صالح باعامر على التزامه بالاشتراطات الفنية لفن القصة والرواية المعاصرة، مما جعله يستجيب لإملاءات ظرف تحول الفن نفسه الذي قفز بموضوعات السرد في التسعينيات إلى الواجهة الأدبية يميناً وعربياً وعالمياً.

وما ينبغي أن لا يغيب عن بالنا أيضاً قدرة باعامر الإبداعية على التعامل بهذا القدر من الصدق والجدية العلمية مع هذا الفن السردي الجميل.

وتموتُ في أعماقِنا الأحلامُ

ياسين البكالي

نحنُ الذينَ...
كمْ فاجراً كانَ السرابُ أمامَنا
إذ نشتهي..
تتْحوّلُ الدنيا إلى جُمَلٍ
نضيعُ على مشارفِها حُروفاً
كمْ يضيقُ بِها الكلامُ
نرّتَصَ خلفَ الوهم
يأتي مُجْحِفاً في حَقِّنا حتى السلامُ
إذْ نحتفي ..
تبكي الحقيقةُ خلفنا
ووراءَها كمْ شّقّ مئْزَره الأمامُ
والغابةُ الحمقاءُ ..
تسْرِقُنا على أطرافِها الأوهامُ
نصحو مْنَ المنفى..على وطنٍ
بِحَجم خُرافَة
يلهو بَها تحتَ الفراشِ نيامُ
مَحضُ انكِساراتٍ على قَسَماتِنا تزهو
وذاكرةٌ ..عليها تعبرُ الآلامُ
هلْ مِنْ يد ؟؟
يقفُ الصباحُ مُطأطئاً رأسَ العروبةِ
في حقولِ الأبجديةِ
قيلَ أنّ يديه كبّلَها الظلامُ
هلْ أنتَ تدري يا دمي ما لستُ أدري ؟؟
مُوجِعاً كانَ الجوابُ..
فكيفَ في صمتي أُلامُ ؟؟
نصفُ اليقينِ يضيعُ
في أدغالِ حَسْرَتِنا جُزافاً
والخوفُ يطحنُ ما تَبَقّى للفجيعَةِ مِنْ صمودٍ

والأسى.. مِنْ آخرِ النكساتِ
يلهثُ خلفَ ظلّكِ ..
يا فتى.. جَرْياً
و يهتفُ ..
يـا غُـــلامُ !!!!!!

11|12|2010م

إصدارات ثقافية

المصارعة الرومانية القديمة التاريخ الدامي لرياضة الموت

صدر عن مشروع كلمة للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث ترجمة كتاب جديد بعنوان "المصارعة الرومانية القديمة.. التاريخ الدامي لرياضة الموت"، لمؤلفه فك مايير وترجمه إلى اللغة العربية دكتور صديق جوهر، ويفتح هذا الكتاب آفاقاً جديدة في مجال الدراسات الثقافية والحضارات المقارنة، فلم يقتصر تناول المؤلف لنشأة المصارعة الرومانية القديمة وتطورها على النظور التاريخي المعتاد، بل سعى إلى دمج التاريخ مع النظريات السياسية والدراسات النفسية المعاصرة من أجل رصد العديد من المقاربات الفكرية ذات الصلة.

وفي منهجية سلسة وأسلوب متفرد تجاوز اللغة الأكاديمية الجافة إلى لغة إبداعية أكثر خلقاً وابتكاراً، فالمؤلف يغوص بنا إلى أعماق الحضارات القديمة ليرصد عن كثب تاريخ المصارعة الرومانية القديمة بكل ما فيها من وسائل ترفيهية بربرية وطقوس دموية متوحشة تحلل ذبح البشر وتقديمهم قرابين في ساحات المسارح الرومانية الممتدة عبر الأقاليم الشرقية والغربية للإمبراطورية.

وجاء في مقدمة الكتاب أن بعض المؤخين رأوا أن المعارك والمنافسات الدامية التي كانت تدور في باحة المسرح الروماني كانت بمثابة صمام الأمان الذي يقوم بتنفيس ما يختلج في نفوس عامة الشعب والغوغاء من مشاعر مكبوتة، ولذلك فإن الإثارة التي تصاحب مشاهد الذبح تخفف من إحساس الجماهير بالبؤس الذي يعانون منه في حياتهم اليومية، كما تخفف من مشاعر الكبت التي تنكد عليهم حياتهم، أمّا الأباطرة والطغاة فكانوا يستغلون أي فرصة للتأكيد على شرعية سلطاتهم، ولذلك كانوا يسارعون لتنظيم هذه العروض المكلفة باعتبارها تجسيداً رمزياً لقوتهم وطغيانهم.

كما ويصور المؤلف عروض الإعدام الجماعية العلنية وشلالات الدماء المسفوكة التي تلطخت بها حلبات و جدران المسارح الرومانية منذ الأزل وحتى إغلاقه في أواسط القرن الخامس الميلادي ويرى أنها تجسد أبشع وأشنع وسائل التعبير عن الطغيان والجبروت والقوة التي كان الأباطرة الرومان مولعين بها، فقد انساق الأباطرة من أمثال قيصر و نيرون و تيتوس و كومودوس وكلوديوس وغيرهم وراء غرائز العنف ، وأنفقوا الملايين على عروض المصارعة و أفرغوا غابات إفريقيا من الحيوانات البرية التي جيء بها لتذبح في ساحات الموت بهدف إلهاء شعوبهم والترفيه عنهم، كما شق هؤلاء الأباطرة القنوات البحرية داخل تخوم روما لإقامة العروض القتالية التي تحاكي الغزوات الرومانية البحرية لشواطئ وبلدان الدول المجاورة.

ويحكي الكتاب تاريخ نشأة ألعاب المصارعة الرومانية التي دامت على مدار القرنين الأول والثاني بعد الميلاد حيث كانت هذه العروض جزء لا يتجزأ من طقوس الحياة الرومانية، وكانت المسارح والمدرجات الرومانية منتشرة في جميع المدن الكبرى وذات الحجم المتوسط حث دأب الناس من جميع الطبقات على الذهاب لمشاهدة عروض المصارعة التي كانت تعتبر جزءاص من الترفيه آنذاك، كما أن الأباطرة كانوا يروجون لهذه العروض من أجل استغلالها في الدعاية السياسية تعبيراً عن تضامنهم مع الشعب وتقاربهم من الجماهير، إلى جانب تأكيد بسط سيطرتهم على البشر والحيوانات معاً.

كما تناول المصارعة النسائية والأسباب السياسية والاجتماعية وراء بناء المدرجات والمسارح الرومانية، بالإضافة إلى دراسة الآثار والمخطوطات والجداريات التي تخلد تاريخ المصارعة في شتى العصور، كما عرج المؤلف على اقتصاديات المصارعة ومصادر الأموال الباهظة التي أنفقت طوال التاريخ الروماني على إقامة عروض الموت إلى أن انهارت دعائم الاقتصاد الروماني بسبب البذخ وسوء التخطيط و تفشي الأوبئة والمجاعات وتعرض البلاد لغزوات البرابرة والقبائل القوطية والوندالية المتوحشة التي نهبت آثار روما ومسارحها بما في ذلك مبنى " الكولوسيوم " أشهر المدرجات الرومانية القديمة .

ويشير الكاتب في كتابه إلى أنه وعلى الرغم من الشعبية الكاسحة التي كانت تحظى بها عروض المصارعين إلاّ أن الكتابات الرومانية وخاصة في أواخر عهد الأباطرة لم تذكر الأصول التي نشأت منها هذه الألعاب سوى ثلاث مرات، ويعود سبب ذلك الامتناع عن الحديث المطول عن جذور المصارعة الرومانية لأنها لم تكن في الأساس من أصل روماني وهو ما لا يحب الرومان المتعصبون لثقافتهم أن يسمعوه.

كما يذكر الكاتب أنه ومع بدايات القرن السادس عشر بدأت هذه المسابقات تتلاشى ولكنها استبدلت بمسابقات مبارزة أخرى يشترك فيها الفرسان تسمى بالمبارزة الرسمية، حيث كان المشاركون فيها يعتبرونها شكلاً من أشكال العنف المسموح به رسمياً والذي يعد نوعاً من الطقوس القالية.

أمّا مؤلف الكتاب فهو فك مايير وهو أستاذ التاريخ القديم في جامعة أمستردام في هولندا، وهو متخصص في دراسة التاريخ البحري والآثار القديمة، وله العديد من المؤلفات والكتب المنشورة مثل "نظرة جانبية على الآثار القديمة"، "و"رحلة القديس بولس إلى روما"، و"أيها الأباطرة لا تموتوا على الفراش"، بالإضافة إلى كتاب "سباق المصارعين".

أمّا مترجم الكتاب فهو الدكتور صديق محمد جوهر حاصل على درجتي الدكتوراه والماجستير من الولايات المتحدة الأمريكية، ترجم العديد من الدراسات والكتب من الإنجليزية إلى العربية و العكس، وله العديد من البحوث المنشورة في الدوريات العلمية في أمريكا الشمالية وأوروبا.

شعرية القصة القصيرة وحوار الأجناس'

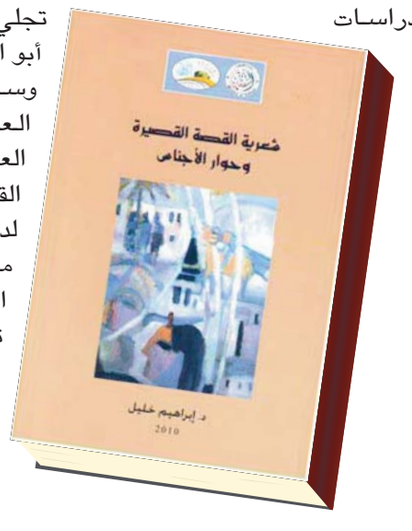

عمان/

صدر عن وزارة الثقافة، ضمن منشورات الزرقاء مدينة الثقافة الأردنية، كتاب جديد للدكتور إبراهيم خليل بعنوان ' شعرية القصة القصيرة وحوار الأجناس'.

يقع الكتاب في ١٩٨صفحة من القطع الوسط ، ويضم فصولا أولها يتناول فيه المؤلف محكي الذات والمكان في ' سفر العاشق' لرشاد أبو شاور، والثاني يتناول فيه شعرية السرد في ' أحزان كثيرة وثلاثة غزلان'، وفي الثالث يتناول قصص خليل قنديل في ' سيدة الأعشاب' التي تقع على مسافة واحدة من النثر والشعر، وفي الرابع يتناول المؤلف شعرية الخطاب السردي في قصص هند أبو الشعر، تناولا يتتبع فيه أعمالها من ' شقوق في كف خضرة' (١٩٨١) إلى ' الوشم' (٢٠٠٥).

ويتناول في الفصل الخامس ' المذاق الشعري للسرد القصصي' لدى بسمة النمري، وفي السادس يتناول تقاطع الرمزي والغرائبي في قصص الأديب الراحل بدر عبد الحق، لا سيما في مجموعته القصصية الموسومة بعنوان ' الملعون'. وعلى ذلك النحو خصص المؤلف الفصل السابع لدراسة تتبع فيها شعرية السرد، وبلاغة التهكم، في قصص محمد طملية، متتبّعاً هذه الظاهرة في مجموعات ' الخيبة' و ' ملاحظات على قضية أساسية' ومجموعة ' المتحمسون الأوغاد' و ' جولة عرق' منبها على تأثيره في غيره من القصاصين. وفي الفصل الثامن يتناول الكاتب تراسل الأجناس في قصص رسمي أبو علي، وتداخل القصة والرواية والسيرة. وفي الفصل التاسع يتناول المفارقة في القصة القصيرة جدًا، مشيرًا إلى تجلي المفارقة في عدد من الأعمال لكل من هند أبو الشعر، ومحمود الريماوي، وأحمد النعيمي، وسعود قبيلات، ومحمود شقير، وسامية العطعوط ، وآخرين. أما الفصل الأخير، العاشر، فخصصه المؤلف لشعرية المكان في القصة القصيرة متخذًا من القدس نموذجا لدراسته تضاف إلى هذه الفصول العشرة مقدمة ومدخل تحدث فيه المؤلف عن موقع القصة القصيرة بين الأجناس الأدبية مؤكدا تأبي هذا الفن على القولبة أو الامتثال لقواعد التجنيس..

يذكر أن للمؤلف نيفا وأربعين كتابًا راوح فيها بين اللغويات، ونقد السرد، ونقد الشعر، والأدب المقارن، وتاريخ الأدب الحديث، ونظرية النقد، والتراجم والشخصيات، والنصوص الإبداعية من شعر، وقصص، والتحقيق، والمقررات الأكاديمية. وشارك في نحو٢٥ كتاباً مشتركاً، ونشر أكثر من عشرين بحثا في مجلات علمية محكّمة.